ومن هذه التعليقات، أيضاً، ان العراق لم يقم بما قام به خدمة لباقي العرب عموماً، ولفلسطين خصوصاً. وليكن كذلك؛ وربما كان هذا صحيحاً؛ اذ يفترض، اساساً، ان يكون العرب عموماً، والفلسطينيون خصوصاً، اولى من غيرهم بالاهتمام بقضاياهم. الاّ ان ذلك كله لا يمنع، بالطبع، من وضع الانجازات العراقية في خدمة القضية العربية عامة، والفلسطينية خاصة.

ومن هذه التعليقات، كذلك، ان اسرائيل «لن تسمح» لاحد بالتفوق عليها، او بتشكيل تهديد لها؛ وهي اقوال «مألوفة» تعتبر استمراراً للنغمة الانهزامية الاحباطية التي قاسينا منها كثيراً. والحقيقة هي ان اسرائيل، ومن ورائها الامبرياليون الاميركيون «لا يسمحون» بعمل هذا، او ذاك، لمن «لا يسمح» لنفسه أساساً باغضابهم؛ اي ان لعبة «عدم السماح» تطبق على مصطكي الركب الذين لا يجرؤون، لاعتبارات مصلحية او حتى نفسية، على الدخول في مواجهة جذرية. الاّ ان الوضع يختلف تماماً عندما يكون هناك من «يسمح لنفسه»، دون ان يتكلف عناء «طلب الاذن»، بعمل ما يراه مناسباً، ويكون قادراً على تنفيذ ذلك، والالتزام به، وحمايته. ففي فيتنام، مثلاً، وفي كل تلك الحالات، على قلّتها، التي قرر العرب او الفلسطينيون معها التصدي للعدوان الاسرائيلي «يسمح» بأمور كثيرة.

غير ان الاخطر من كل هذه «الفتاوى» ـ وهذا هو بيت القصيد ـ هو ردود الفعل التي صدرت عن بعض الدول الغربية، وفي مقدمها الولايات المتحدة الاميركية، بـ «شجبها» التصريحات العراقية و«استنكارها»، وما تلا ذلك من حملات ظالمة غاشمة راحت تشن على العراق خاصة، والعرب عامة، بهدف تشويه سمعتهم والنيل منهم. والرياء الامبريالي الكامن وراء هذه الحملة واضح للغاية. فالدول الغربية، وفي مقدمها الولايات المتحدة الاميركية، تسمح لنفسها بأن تطور، بصورة منهجية ومستمرة، انواع اسلحة الدمار كافة، جزئياً كان ام شاملاً، وذرية كانت ام بيولوجية او غازية؛ بل انها حتى تتغاضى عن النشاط الاسرائيلي في هذا المجال، انْ لم تكن تؤيده وتدعمه سراً. وعندما يلجأ العرب الى الوسائل ذاتها، للدفاع عن انفسهم في وجه الابتزاز الاسرائيلي الدائم، والمستمر، تقوم القيامة. ولا ينبغي، على كل حال، ان يخدعنا هذا التباكي كثيراً، فالمسألة بسيطة وواضحة للغاية. ان «بلطجيي» العالم، اي الاميركيين وحلفائهم، و«بلطجيي» المنطقة، اي اسرائيل، باتوا يشعرون بالضيق؛ اذ ظهر هناك من راح يتحداهم، وبالتالي يحد من حريتهم في فرض سياساتهم على المنطقة. وتطرق الرئيس العراقي الى هذه الناحية بوضوح، بقوله، في احدى خطبه، ان «اللاعبين الكبار» هم الذين «يلعبون الآن مباشرة ضد العراق، كونه قادراً على حماية نفسه، وعلى الدفاع عن الأمة العربية، اذا تعرضت للعدوان».

لقد خفّت الحملة على العراق، على كل حال، تدريجياً، خصوصاً بعد تصريحات زعمائه بأنهم لا يخططون، ولا ينوون الاعتداء على احد، بل ان ما يهدفون اليه هو منع الاعتداء على بلدهم، ومن ثمّ الرد عليه بحزم، اذا وقع. بل وجد هناك، حتى في اجهزة الاعلام غير الصديقة، من ابدى «تفهماً» لموقف العراق، باعتبار انه يتعرض، فعلاً، لتهديد من اسرائيل، التي لم تنكر يوماً ان لديها اسلحة نووية، كما لم ينكر ذلك احد نيابة عنها؛ وبالتالي، فهو على حق عندما يتخذ اجراءات للدفاع عن نفسه. الاّ ان ذلك كله ليس مدعاة للطمأنينة، باعتبار ان المعركة قد انتهت، بينما لا تزال، في الحقيقة، في بدايتها.

اننا ندرك، بالطبع، ان اسرائيل ليست ايران؛ بمعنى ان الكيان الصهيوني ذو مستوى